

للشيخ الحاج إبراهيم
بن الحاج عبد الله
إنياس الكولخي
لطف الله بهما

قام بطبعه و نشره الحاج إبراهيم إدريس فنتو
المشهور بما كاين فيضه

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا محمد
و على آله
و صحبه و سلم.

الحمد لله السلامِ المؤمنِ المحسنِ سبحانه هو الملكُ التواب الرحيم الرقيب المهيمن.
و السلامان على الصراط المستقيم التَقي النَّقَيِّ الصادق المخلص المتخلقِ بالخلقِ العظيمِ المراقبِ المشاهدِ عينِ المعارفِ الأقومِ العبدِ السيِّدِ المتصفِ بصفاتِ السيدِ الأعظمِ و الرِّضوانُ الأتمُ عن ناصرِ الحق بالحقِ الهُداةِ إلى الصراط المستقيمِ و على آله حقَ قدرهِ و مقدارهِ العظيمِ أما بعد:

فقد وقفت على كتابك الكريم و خطابك السليم أيها المحب الأرضى و القدوةُ المرتضى عمر ابنُ مالكٍ لطفَ بكما المالكُ، و وقفت على سؤالك عن مقامات الدين الثلاث و ما لها من المنازل و ما حقيقة تلك الخصال و قد تكلمَ السيدُ العارفُ بالله عبيدةُ بن أنبوجَ في الميزاب في مباحثَ طويلةٍ و حيثُ لم تجد مقنعاَ في ذلكَ فهاك منِي ما أمكن لي كتبهُ مما تعلقَ به خاطري، و نصه:
لا إله إلا الله مقاماتُ الدين الثلاثِ الإسلامُ الإيمانُ و الإحسانُ.
فالإسلامُ قول لا إله إلا الله و **الإيمان** العلمُ بأن لا إله إلا الله و **الإحسان** الجريانُ في مقتضى لا إله إلا الله.

و هو أن يقولَ كلامَ حالٍ و مقالٍ ـ " الله : ـ و الكلمةُ الشريفةُ هي كلمةُ التوبةِ و كلمةُ التقوى و كلمةُ الإخلاصِ و كلمة لتوحيدِ و الكلمةُ الطيبةُ و لها مراتبُ ثلاثٌ، مرتبتها الأولى هي مقامُ الإسلامِ و هو القيامُ بمقتضَى خطابِ الحكمةِ في حضرة الناسوتِ، المرتبةُ الثانيةُ التي هي العلمُ بهِ هي مقامُ الإيمان، و المرتبةُ الثالثةُ التي هيَ قولُ " اللهُ" هي مقامُ الإحسان فالمقاماتُ إذّا متباينةٌ غيرُ متباينةٍ حيثُ أن المدارَ على لا إله إلا اللهُ .

و أما المنازلُ فأول منازلِ الإسلامِ التوبةُ و هيَ الخروجُ من كفرِ النعمةِ فكلُ نعمةٍ شكرها صرفها في مرضاتِ المنعمِ و ضدُ الشكرِ كفرٌ.

و قال علماء الصوفيةِ: " الخروج من كلِ خلقٍ دنيٍ إلى كلِ خلقٍ سَنيٍ "قلتُ و الدنيُ في حق العامِ تركُ الفرائض و إرتكابُ المحرماتِ و في حق الخاص تركُ الفضائلِ و إرتكابُ المكروهاتِ و في حق خاص الخاص الإعراضُ عن الحضرةِ و هو الغفلةُ و هذهِ التوبةُ هي حقيقةُ التوبةِ لأنَ حقيقتهَا قتلُ النفس قال تعالى:" فتوبُوا إلى بارئكمْ فاقتلوُا أنفسكم" فلا يراهاَ و لا يرَ لهَّا فعلاً و لا حالاً و لا مقامًا و ذلكَ هو التوبةُ من التوبةِ " إنَ اللهَ يحبُ التوابين" أي من التوبةِ.

و الثاني الإستقامةُ و هو سلوكُ الصراطِ المستقيمِ في عشرةِ خصالٍ عدهَا اللهُ تباركَ و تعالىَ في سورة الأنعامِ بقوله تعالىَ : قل تعالَو اتلُ ما حرَّمَ عليكم ربُّكم ألاَ تشركوُا بهِ شيئًا ... إلى قولهِ و أنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوهُ و لا تتبعوا السبلَ، و الصراطُ المستقيمُ من حيثُ أطلقَ فالمرادُ العملُ بمقتضىَ تلكَ الخصالِ و أولُهَا عدمُ الشركِ باللهِ شيئًا و عدمُ العقوقِ و عدمُ قتل النفسِ التي حرَّم اللهُ و عدمُ قتلِ الأولادِ من لإملاقٍ و تركُ الفواحشِ ا ظهرَ منها و ما بطنَ ... الخ.

فالإستقامةُ هوَ الإقامةُ على الصراطِ المستقيمِ هذا هو إستقامةُ العَـــــامةِ و إستقامةُ الخاصةِ هو سلوكُ الصراطِ المستقيمِ و هو عندهمْ رسول الله صلى الله عليه و سلم بالفناءِ فيهِ و محبتهِ و التخلقِ بأخلاقهِ ظاهرًا و باطنًا و اللَّهجِ بذكرهِ و الصلاةِ عليهِ و الدعاءِ لهُ في كلِ نفسٍ و هو الإستقامةُ، و إستقامةُ خاصةِ الخاصةِ أن لا يبقى فيكَ خلقٌ تكتُمُهُ و لا عرفٌ خبيثٌ قال تعالى:" الدّينَ قالُوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا" الآيه.

و الثالثُ التقوى و هو إمتثالُ الأوامرِ و إجتنابُ النواهي ظاهرًا و باطنًا في السرِّ و العلانيةِ و هو أعمُّ من الإستقامةِ حيثُ أن المأموراتِ واجبـــــــاتٌ و مأموراتٌ و المنهياتُ محرَّماتٌ و مكروهاتٌ و خلافَ أولى و إمتثالُ الأوامرِ مطلقًا و اجتنابُ النواهي مطلقًا هو التقوى عند العامةِ، و عندَ الخاصةِ أن تذكرهُ و لا تنساهُ و تشكرهُ و لا تكفرهُ و تطيعهُ و لا تعصيهِ قالَ تعالىَ:

" يا أيهَا الدين آمنوا اتقوا اللهَ حقَّ تقاتهِ" و هي مرتبةُ الخاصةِ كما أنَّ قولهُ:" و اتقوا اللهَ ما استطعتم" هي مرتبةُ العامةِ و تقوى خاصةِ الخاصةِ عدم خُطُورِ سوًى بالخاطرِ و لو لحظةً قالَ العارفُ:

و لو خَطَرَتْ لي في سواكَ إرادةٌ على خاطري سهوًا حَكَمْتُ بردَتِي

لكنْ ذلكَ حالٌ للعارفِ و مقامٌ للقطبِ الفردِ الجامع فالناظمُ تكلمَ في حالهِ لكن ذالكَ الحالُ غيرُ لازمٍ للعارفِ و هذا التقوى هوَ المشارُ إليهِ بقولهِ:" إنَّ اللهَ يحبُّ المتقينَ".

المقامُ الثاني من مقامَاتِ الدينِ مقامُ الإيمانِ فأولُ منازلهِ الصدقُ و هوَ عملُ البرِ و ابتغاءَ وجهِ اللهِ قال تعالى:" و لكنَّ البرَّ من آمنَ باللهِ و اليومِ الآخرِ ... إلى قولهِ أولئكَ الذين صدقوُا" هذا هو صدقُ العامةِ، و صدقُ الخاصةِ الصدقُ في محبةِ الذاتِ العليةِ بأن يكونَ وصولهُ إلىَ الذّاتِ العليةِ أحبَّ إليهِ من كلِ شيءٍ موجودٍ و اسمهَا أحبَّ إليهِ من كلِ إسمٍ و كلامهَا أحبَّ إليهِ من كلِ كـــــــلامٍ و مرضاتهَا أحبَّ إليهِ من كلِ مرضاةٍ و أحبابُهَا أحبَّ إليهِ من أحبابِهِ فذلكَ هو صدقُ الخاصةِ قال تعالى:" كونوا مع الصادقين" و صاحبُ هذا المَقَامِ لا يتعلقُ خاطِرُهُ بحبِّ شيءٍ إلا شيءٌ أرادَ اللهُ أن يَجِدَهُ فخاطِرُ الصَادقِ لا يتعَلَقُ بشيءٍ لمْ يُرِدِ اللهُ وجُودهُ، و ذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشَاءُ و اللهُ ذو الفضلِ العظيـــــــمِ و صدق خاصةِ الخاصةِ التصديقُ بكلِ ما تَتَلَقَاهُ حضرةُ النبُوَةِ من الألوهيةِ علمًا و حالاً و سِرًّا و آدابًا و حقُوقًا و وظائفَ فمن بلغَ صدقهُ إلى هذه المرتبةِ فلهُ صيغُ مبالغةٍ في الصدقِ و الثاني الإخلاصُ و هوَ أن تعملَ جميعَ المأموراتِ لوجهِ اللهِ الكريمِ و تترُكَ المنهياتِ كذلكَ و حيثُ تجدُ في النفسِ رياءًا أو سمعةً أو عُجبًا فلمْ تخلُصْ هذا هو إخلاصُ العامةِ و إخلاصُ الخاصةِ العمَلُ لا لثَوابِ و لا خَوْفَ عِقابٍ و لا وصولَ إلى مقامٍ بل تعمل عبوديةً و شوقًا و العُبوديةُ أن تعملَ بلا علةِ سِوَى أن اللهَ إلهٌ مستَحِقٌ للعبَادةِ و أنت عبدٌ لا يليقُ بكَ إلا الخِدمةُ فتعمَلَ لهُ و لا ترَى أنكَ تستَحِقُ عليهِ شيئًا معَ شهودِ المنةِ و هوَ شُهودُ الأعمالِ أنَّهَا من اللهِ إليكَ خلقَ و نسبَ إليكَ فضلاً و منَّةً و إخلاصُ خاصةِ الخاصةِ و إخراجُ سِوًى في معاملةِ الحقِ و نفسِكَ سِوًى بأنْ ترَى أنَّ العملَ من اللهِ إلى اللهِ باللهِ و أنتَ لا مدخلَ لكَ و لا مخرجَ " إنَّ اللهَ يحبُّ المخلصينَ.

و الثالثُ الطمأنينةُ وهو سكونُ القلبِ باللهِ إستغْناءًا باللهِ و يقينًا باللهِ بحيثُ لم يبقَ للقلبِ إلتِفاتٌ إلى ما يَنفعُ أو يضُرُّها بل ألقى نفسهُ سلمًا بين يدي اللهِ قائلاً لسانُ حالهِ: اللهَمَّ عليكَ مُعولِي هذا هو الطُمأنينةُ و لا تكونُ إلاَّ للخاصةِ و طُمأنينةُ خاصةِ الخاصةِ علمُهمْ يقينًا بأنَّ غير اللهِ ليس بموجُودٍ فلا يسكُنُ إليهِ و لا يرجِعُ إلاَّ إليهِ فيُخاطبُ بيا أيتُهَا النَّفْسُ المطمئنَّةُ إرجعي إلى ربِّكِ .

و المقامُ الثالِثُ من مقاماتِ الدينِ الإحْسَانُ و أولُ منازلهِ المراقبةُ هي دوامُ الحضورِ معَ اللهِ و العلم بإطِّلاعِهِ على كليَةِ العَبدِ بحيثُ لا يزُولُ عنهُ هذا الخاطرُ لأنَّهُ يُطالعُ الحَقيقة من وراءِ حِجَابٍ رقيقٍ و يَفهَمُ فهمًا ذوقًا و صاحبُ هذَا المقامُ ربَّما تكَلَّم بكلامٍ يَظنُّهُ من لمْ يجِدْ كَمَالَ التَمييزِ واصلاً، و ليسَ بواصِلٍ لكنَّهُ يُطالعُ الحقيقَة من وراءِ حِجَابٍ رقيقٍ و يأخُذُ العلومَ فهمًا ذَوقًا لا مشَــاهدَةً و هذه مراقبةُ الخاصةِ فبل المشَاهَدَةِ ، و المُراقبةُ بعد المشاهدةِ مراقَبَةُ خاصةَِ الخاصَةِ و المراقبةُ أنفسُ مقامٍ من مَقَامَاتِ الرِّجالِ و هي نتيجَةُ المعــــــــرفةِ

و الثانِي المشاهدةِ و هي رُؤيةُ الحقِ بالحقِ عَيَــانًا من غيْرِ ريبةٍ و لاَ شَّكٍ و لا وَهْمٍ بحيثُ لَمْ يبقَ إلاَّ الحقُ بالحَقِ في الحَقِ، و ما دَامَ يبقَى من وُجُودِ العبدِ شَعْرَةٌ واحِدةٌ لا يصِلُ إلى هذَا المَقَامِ بل يَفنَى عنْ نَفسِهِ و عنِ الغَيرِ و الغيريَةِ قائِلاً لسَانُ حَالِهِ:

فلمْ يبقَ إلاَّ اللهُ لا شَيْءَ غيرُهُ فَمَا ثَمَّ موصُولٌ و لا ثَمَّ بائِنُ

بحيثُ لا إسمَ و لا وصفَ و لا رمَ و لا حدَّ و هذهِ الرؤيةُ من غيرِ كيفٍ و لا تحديدٍ و لا إتحَادٍ و لا جِهَةٍ و لا مقالبةٍ و لا ابتداءٍ و لا انتِهاءٍ و لا اتصَالٍ و لا انفِصالٍ و لا ذكرٍ و لا ذاكرٍ و لا مذكُورٍ جاءَ الحقُ و زهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقًا و هذهِ المرتبةُ أدنى مراتِبِ الفتْحِ فقبلَ هذَا ليسَ بفتحٍ و هوَ بابُ المعرفةِ و ليسَ هو المعرفةِ فكلُ عارفٍ مفتُوحٌ عليهِ و لا عَكْسَ، و الثالثُ المعرفةُ و هيَ رسوُخُ الروحِ و تمكينُهُ و تمكينُهُ في حضرْةِ المُشاهدةِ معَ الفناءِ التَامِ و البقاءِ باللهِ فالعارفُ عندَ الصوفيةِ الغيْرَ العيْنَ أي شهودُ الحقِ في الغيْرِ.
و العارفُ عندِي من فنِيَ في الذاتِ مرةً و أثبتَ الوجودُ بالحقَــائِقِ الثلاثِ و أثبتَ الأسماءَ بالإسْمِ و هذَا مقامٌ دونهُ خَرْطُ القَتَادِ و تَفَتُتُ الأكْبَادِ و لا يُنالُ ببذلِ الأمْوَالِ و الأولادِ و صاحبُ هذَا المقامَ كَـــــــــامِلُ اليَقَظَةِ باللهِ و بحُكمِهِ و أحكَامِهِ راضيًا بمَجَارِي الأقدَارِ كمَالِ الرضى مرضيًا فيستَحِقُ أن يُخاطِبَ نفسَهُ بقولهِ: "فادخلي في عبَادِي و ادخُلي جنتِي".

والمعرفةُ آخرُ مقاماتِ الدينِ و التوبةُ أولُهَا معَ أنَّ التوبة أفضلُ من المعرفةِ لأنها نتيجتُهَا معَ أن حقيقةَ التوبةِ عدمُ التوبةِ و ذلك لا يُنالُ إلاَّ بالمعرفةِ و لذلكَ كانَ يقُولُ شيخُنَا الخَتمُ التجَاني رضيَ اللهُ عنهُ و أرضَاهُ و عنَا بهِ" بـــاللهِ الذي لا إله إلاَّ هو ما بلغتُ مقامَ التوبةِ " يعني رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ تائبٌ من رؤيةِ توبتهِ ، و ما دام العبدُ يرى لنفسِهِ توبةً فلم يبلُغ مقامَ التوبةِ.

انتهى شرح المنازلِ بإختصَارٍ ، و لو تتبعنَا ما يتَعَلّقُ بهَا لإحتَجْنَا إلى إفرادِ تآليفٍ لكنهَا كمَا تقدَمَ حقيقةُ المقَامَاتِ إسلامٌ و إيمانٌ و إحسانٌ، و الإسلامُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ و الإيمانُ فاعلمْ أنَّهُ لا إله إلاَّ اللهُ و الإحسانُ قل اللهُ، و ما يعقلهَا إلاَّ العالمُون.

و هذه المنازلُ تسعٌ و كلها إن تأملتَ فيهِ تجدُ عينَ المنازلِ الباقيةِ في الحقيقةِ و ذلكَ رمزةُ إلى الحضراتِ التسعِ فالحضراتُ تسعٌ و ما هيَ إلاَّ واحدةٌ لأنكَ إن دخلتَ الحضرةَ الأزلية فمرادُكَ منَ اللهِ تمَ و من رسولِ الله صلى الله عليه و سلم و من الشيخِ و إن وصلتَ إلى المحمديةِ فمرادُكَ منَ اللهِ تمَ و من رسول اللهِ صلى الله عليه و سلم و من الشيخِ و إن وصلتَ إلى الأحمدِيَةِ فمرادكَ من اللهِ تمَ و من رسول الله صلى الله عليه و سلم و من الشيخِ

فصَارتِ الحضرَاتُ تسعًا ثلاثًا في ثلاثٍ كما أنَ المنازلَ تسعٌ ثلاثٌ في ثلاثٍ فحضرةُ الشيخِ مقامُ الإسلامِ و حضرة الرسولِ صلى الله عليه و سلم مقام الإيمَانِ و حضرة اللهِ مقَامُ الإحسَانِ" و إنَّ إلىَ ربّكَ المنتهى و السلام.

إلحَاقٌ بمَا قبْلَهُ

حقيقة التوبةِ:

التوبةِ من التوبةِ " إنَ اللهَ هوَ التوابُ الرحيمُ "

و حقيقةُ الإستقامةِ :

البقاءُ بعد الفناء " إنّ اللهَ يحكُمُ ما يريد "

و حقيقةُ التقوى:

عدمُ خُطُور السِوى بالخاطِرِ و لو للحظةٍ " ذلك بأن اللهَ هوَ الحقُ "

و حقيقةُ الصدقِ:

إفرادُ الوِجهَةِ إليهِ " كلُ شيء هال إلاّ وجهه "

و حقيقةُ الإخلاص:

أن تَرى العملَ لا مِنكَ و لا إليكَ و لا لكَ " له مـــا في السماوات و ما في الأرضِ جميعًا منهُ" " ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمورُ" "له الملكُ و لهُ الحمدُ"

و حقيقةُ الطُمأنينةُ:

أن لا تتمنَى زوالَ ما كانَ أو وجودَ مـــا لمِ يكنْ" إنَّ اللهَ يعلمُ و أنتمْ لا تعلمون" " لا يُسألُ عمَّا يَفْعَلْ"

و حقيقةُ المراقبَةِ:

تعلُقُ القلبُ باللهِ دائمًا " إنَّ ربكَ لبا لمرصاد" " و ما تكونُ في شــأنٍ و ما تتلوا من قرآنٍ و لا تعملونَ من عملٍ إلاَّ كنَّا عليكُمْ شُهُودا إذْ تفِيضـــونَ فيه" " و نعلمُ ما تُوَسوِسُ بهِ نفسَهُ و نحنُ أقربُ إليهِ من حبـــلِ الوريد" " و ما يكُونُ من نجوى ثلاثةٍ إلا هوَ رابعهُمْ" " إنَّ اللهَ عليمٌ بذاتِ الصُدُورِ"

و حقيقةُ المشاهدَةِ:

رؤيةُ الحق عيانًا " فأينما تُوَلُوا فثمَ وجهُ الله "

و حقيقةُ المعرفةِ:

شهودُ الكَمَالُ الذاتِي "ليسَ كَمِثْلِهِ شيء "

انتهى ما أملاه عليَّ الواردُ و السلامُ
انتهَى و الحمدُ للهِ علىَ كُلِ حَالٍ و صلَى اللهُ علىَ سيِّدِنَا مُحَمَّدِ
و على آلهِ و صَحْبِهِ و سَلَّمَ.

بقلم عبدِ اللهِ الصِّدِيق تَفَكَرْ تَرَى كُوكُو

مَدْرَسَةِ حِزْبِ الرَّحِيمِ غُسَوْ زَاوِيَةْ

1410-10-09 هجريه يوم الخميس شَوَالْ.